

بسم الله الرحمن الرحيم

## أخطار تقلص الأصالة والهوية العربية في التعليم الموسيقي

للأستاذ الدكتور صالح المهدي

لقد كانت موسيقانا متأثرة الجذور سواء بالتراث أو بالإنتاج، فبناسبة للتراث صدرت توصية عن المؤتمر الأول للموسيقى العربية المنعقد بالقاهرة سنة 1932 تأسست بمقتضاها جمعيات في أغلب البلدان العربية لجمع هذا التراث وبثه في الحفلات وف التسجيلات وفي البرامج الإذاعية. وأشهر هذه المؤسسات معهد الفنون الجميلة تأسس على يدي معالي الاستاذ د.فاضل الجمالي ببغداد واسندت إدارته إلى الموسيقار الشريف محي الدين حيدر، والمعهد الوطني للموسيقى بكل من دمشق وحلب وبيروت بإدارة المرحومين: الشيخ علي الدرويش، مجدي العقيلي وسليم الحلبي

تأسست بتونس الجمعية الرشيدية نسبة إلى الملك الأديب الفنان محمد الرشيد ثالث ملوك الدولة الحسينية (في أوائل القرن الثامن عشر)، وذلك على يد المرحوم الأستاذ مصطفى صفر شيخ مدينة تونس، والموصلية بالجزائر ومن أشهر مديريها الأستاذ على المرابط وجميعيات الموسيقى الأنلسية بأكبر المدن المغربية برئاسة صديقنا المرحوم الحاج إدريس ابن جنون ومعهدالموسيقى العربية الذي ورث المعهد الموسيقي الشرقي المؤسس بالقاهرة في أوائل القرن العشرين بقيادة الأستاذ المرحوم مصطفى رضا بك واللجنة العليا للموسيقى العربية بإدارة صديقنا الأستاذ أحمد الشفيق أبو عوف، ثم تأسست معاهد عديدة بكل من الكويت وأول مدير له الأستاذ أحمد باقر وبقطر ومديره الأستاذ عبد الحميد نعمة ومعهد الدراسات النغمية ببغداد وأول مدير له المرحوم الأستاذ علي عبد الرزاق وكان لي شرف وضع برنامجه الفني، ومعهد عمان بالأردن وأ.د. عبد الحميد حمام اليد الولي في تأسيسه، ومعهد الخرطوم على يد صديقنا الأستاذ الماحي اسماعيل وغيرها، ومعهد جمال الدين بليبيا وأول مدير له الأستاذ محمد مرشان .

وفي سنة 1971 تأسس المجمع العربي للموسيقى تابعا للأمانة العامة لجامعة الدول العربية وقد اشتركنا في ذلك مع المرحوم أ.د. محمود أحمد الحفني كان لي شرف رئاسته في دورتيه الأوليين، وكان أو نشاط له تنظيم مسابقة في إنتاج الموشحات أسفرت عن فوز ثمانية ملحنين كل منهم شارك بثلاث موشحات وقدم إنتاجهم في حف بهيج بتونس وقد أسفرت بنتيجة عن فوز صديقنا المرحوم حليم الرومي بالجائزة الأولى كما نظم مسابقات بإنتاج المعزوفات ( وقد فاز فيها صديقنا المرحوم عبد الغني شعبان )، والإرتجال وفاز فيها الأستاذ المرحوم حسن الغربي ،

والنشيد العربي وكذلك مهرجان أم كلثوم بمناسبة الذكرى الأولى لوفاتها شاركت فيه مجموعة طيبة من الفتيات من مختلف الأقطار العربية.

وجميع هذا المؤسسات ارتكزت على خدمة التراث الموسيقي العربي وفي المرب سجلت جميع النوتات بإذن جلالة الملك الحسن الثاني . وفي مصر أصدر اللجنة العليا المذكورة أربعة مجلدات لهذه التراث، وبالشام أصدر كتاب هام (من كنوزنا ) اشترك في تأليفه الأستاذان ندم الدرويش وفؤاد رجائي كما أصدر صديقنا المرحوم الاستاذ مجدي العقيلي كتابا هاما في خمسة أجزاء، وفي العراق قام الأستاذان زكريا يوسف والحاج هاشم الرجب بتحقيق ونشر مجموعة من المخطوطات الموسيقية العربية، وفي تونس أصدرنا مجموعة من الكتب حول مقامات الموسيقى العربية وإيقاعاتها وأشكالها وأبرز مؤسساتها ورجالاتها، وأول كتاب مسموع عن الموسيقى العربية المقارنة في عشر اطوانات من الحجم الكبير كما أصدر البارون ديرلنجاي كتابه الشهير (الموسيقى العربية) في ستة أجزاء وفي الجزائر المعهد الوطني للموسيقى بنشر كتب التراث الموسيقي وفي المغرب قام الأستاذان عبد الكريم الرايس والحاج إدريس بن جلول بتحقيق ونشر مخطوط (الحايك التطاوي للتراث الثني المغربي) وقد كان لي شرف كتابة مقدمة الثاني مع معالي الأستاذ المرحوم محمد الباسي، وبالمملكة العربية السعودية أصدر صديقنا الأستاذ المرحوم محمد الباسي، وبالمملكة العربية السعودية أصدر صديقنا الأستاذ طارق عبد الحكيم كتابا في هذا الصدد وتبعه الأستاذ محمد مرشان بليبيا. وتنظم د.أ.رتيبة الحفني مهرجانا ومؤتمرا سنويا بدار الأوبرا المصرية يقدم أثناءه الفن العربي الأصيل والبحوث القيمة حول هذا التراث وأغلب الأقطار العربية تنظم مسابقات ومهرجانات بهذا المجال.

الملخص الأول هو أن الرعيل الأول من فنانينا في أوئل القرن العشرين كانوا قادرين على الإرتجال في العزف والغناء وكان إنتاجهم عربيا أصيلا ما يزال يمارس حتى الآن وذلك بما اكتسبوه من حفظهم للتراث.

وأول الأخطاء هو إدخال الآلات الغربية في الفرق العربية وهي لا تقدر إلا على أداء الدرجات الصوتية وأنصافها، وبذلك تسيء الى مقاماتنا التي تشتمل على ربع البعد . وما تزال هذه الإساءة مستمرة حتى الآن في عديد أقطارنا العربية . والإساءة الثانية هي التي أتى بها إخواننا الذين درسوا بالمعاهد الغربية وأصبح عدد منهم يعتقد أنه من الواجب ترك موسيقانا العربية والإرتماء في أحضان ثقافة الغرب وقد عملوا على تأسيس معاهد (conservatoire) تطبق فيها البرامج الغربية وبذلك أصبحنا نستمع إلى أصوات أجنبية في أداء أغنيات عربية وقلنا رحم الله الارتجال وأصبح الملحنون يعتمدون على المقامات التي ليس بها أبعاد صغيرة وحتى موجودوا القرآن العظيم أصبح الكثيرون منهم يعتمدون مقام الكردي الخالي من أرباع الدرجات عوض البياتي الذي فرضه جامع الأزهر الشريف على خريجه في مادة تجويد القرآن، وأصبح أشهر

المغنين يلحنون ارتجالاتهم لعجزهم عن الارتجال الحقيقي ، فأين الهوية العربية مع إكثار وسائل غلامنا من بث الانتاج التافه الذي يغطي ضعف الأصوات بالفيديو كليب الذي وصلت به الوقاحة إلى الغناء في فراش النوم وفي العراء الذي لا تقبله الأخلاق ولا الدين ، أين نحن ذاهبون في هذه البرامج التي نساهم في تمويلها بما ندفعه من ضرائب وأداءات لتدخل ببيتنا بالرغم عنا وتطمس أعلى ما نملك (شخصيتنا التي استشهد من أجلها العديد من المناضلين ) .  
العلاج :

أعتقد أن وسائل العلاج تتلخص في مايلي بعد تجارب دامت ستين عاما :

1- في رياض الأطفال وفي المرحلة الأولى من التعليم الإبتدائي ننتج عددا هاما من الأناشيد تتناول أهم المواضيع الإجتماعية والدينية وتركز بالخصوص على بث الضمير في علاقة الشباب ببعضهم البعض وتلحن على مقامات عربية مما يشتمل على أرباع الدرجات (الراست، والبياتي ، والسيكا، والصبأ ) وما يقلبها في مختلف الأقطار ونجري بين التلاميذ مسابقات سنوية في حسن أداء ما لقنوه من أناشيد .

2- المرحلة الثانية من الإبتدائي مع المرحلة الأولى من الثانوي : تطور مستوى الأناشيد ونلقن مبادئ الترقيم الموسيقي ونطبق عليه عدد من الموشحات والأناشيد مع تدريبهم على إيقاعاتها، وفي هذه المرحلة ندرهم على العزف على العود ونطبق ذلك على بعض الأناشيد التي حفظوها .

3- المرحلة الثانية لهذا التعليم نقوي دروس الترقيم والإيقاعات ونكثف حصص العزف على العود ف حصص جماعية ندخلها على ما كتبه التلاميذ مع دروس النغمات وحفظ شواهدها من التراث، ومن يرغب من التلاميذ نوجهه الى برنامج الباكلوريا ذات الإختصاص الموسيقي .

4- في الجامعة: يستمر الطلبة في النشاط ضمن النادي الموسيقي ويقدمون حفلات دورثة فيها التراث والإنتاج الجديد المنسوج عليه ونواصل دروس الإملاء ونضيف لها دروسا في القراءة الغنائية، وفي السنوات الأخيرة نفتح دروسا في الإنتاج الموسيقي والغنائي على مختلف

الأشكال التراثية وندريهم على الارتجال الآلي (تقاسيم) والغنائي (القصائد والمولات والعروبيات)، ويقدمون حفلا أسبوعيا في التراث والحديث الناجح من إنتاجهم .

5- بالنسبة للعلوم الموسيقية والبحث العلمي فإنه من الضروري استمرار الطلبة في التدريب على آلة العود وتطبيقها في محاضرتهم وبحوثهم ويختتم كل طالب بإعداد بحث علمي حول الأغاني الشعبية المشهورة في منطقته .

ونقدمه في حضور عمومي يضم الأساتذة والطلبة والضيوف المهتمين، وتنتشر بحوثهم في مجلة المعهد الدورية . ولا ننسى الدور الهام الذي تقوم به الإذاعات المسموعة والمرئية بتقديم حصص لدراسة التراث الموسيقي وأخرى لنقل ما ينتج على غراره وما تقوم به المؤسسات الثقافية والإعلامية من التتويه بما يقدمه الفنانون من إنتاج أصيل، والبلديات بوضع أسماء هؤلاء الفنانين بأهم شوارع العواصم والقرى .

فبذلك نقد أن نقول إنا أرجعنا تعليمنا الموسيقي إلى الطريق القويم الذي نحفظ به هويتنا الفنية التي كانت من أهم أسباب كفاحنا التحريري .

والله الموفق

أ.د. محمد صالح المهدي